روائي سوداني غضبت عليه الخرطوم وصودرت معظم مؤلفاته

عبدالعزيز بركة ساكن: حققت الشهرة بفضل بركة جدي برمرجيل [1]

– الأدباء الذين لم يستطيعوا تأكيد وجودهم الأدبي يُحمِّلون الطيب صالح مسؤولية فشلهم

القاهرة – السيد حسين [2]

هو واحد من أهم الأسماء الأدبية في الساحة السودانية، تميزت كتاباته بالجرأة والتمرد على الواقع ونقد السياسات القائمة التي يعتبرها سبباً في تأخر السودان عن محيطه العربي والدولي، تعرضت معظم مؤلفاته للمصادرة حتى لقب في الأوساط الفنية بالزبون الدائم للرقيب. وبرر المجلس الاتحادي للمصنفات الفنية والأدبية في الخرطوم قرارات الحظر لما تحتويه مؤلفاته من «مشاهد جنسية خادشة للحياء العام». وساكن يرد «يظن البعض أن في كتابتي ما يسيء لمشروعاتهم الآيديولوجية ويخترق

(1) نشر الحوار بصحيفة السياسة الكويتية بتاريخ 14 مارس 2017.
(2) صحفي مصري يعمل بصحيفة الاهرام.

خطاباتهم المستقرة، بالطبع لا أقصد ذلك، كل ما أفعله هو أنني أنحاز لمشروعي الإنساني، أي أكتب عن طبقتي أحلامها آلامها طموحاتها المذبوحة وسكينتها أيضاً التي تذبح هي بها الآخر. وإلى تفاصيل المواجهة في الحوار التالي:

كيف ترى المشهد الثقافي السوداني؟

على مستوى التحقيقات جيد، ومنتج بصورة كبيرة، وهذا التراكم الكمي كما يقولون سيقود حتماً لتراكم نوعي كبير، أنا أؤمن بمقدرة الأجيال القادمة إذا أخذت القراءة بقوة، إذا مضت أبعد من تقليد ما هو سابق -أوربيّاً كان أم عربياً- وبَحَثَت عن طرائق تخصها، إذا ارتبطت تحقيقاتهم بذواتهم هم. أما من الناحية المؤسسة فهو محبط ومميت، فعدو الدولة الحالية الأول هو الأديب وكتابه الذي يطلق الرصاص ويثير طوفان الكراهية لديها، فبعد أن فشل مشروعها المدعي، أصبح مشروعها الحالي هو قتل الجمال في السودان، وتأسيس ثقافة القبح والكراهية، واستطاعت عن طريق بعض الأدباء المرتشين ومؤسسة المصنفات الفنية والأدبية أن تُضيِّق على الأدباء وتحقيقاتهم، ويبدوا ذلك جلياً عن طريق مصادرة الكثير من الكتب في المعارض ومن المكتبات ومنع تداولها وإتلافها بل وحرقها.

أبطال الرواية

إلى أي مدى تتمايش مع بطل روايتك، وهل تضفي عليه بعضاً من صفاتك الشخصية أم تتركه لتحديد مصيره بنفسه؟

أبطال الروايات مغرورون، وناكرو جميل، ما أن يتبينوا ملامحهم حتى

يصعب القبض عليهم وتوجيههم، حالما يمارسون التمرد على الكاتب، فالشخصية المبنية بصورة جيدة، هي الشخصية التي تنطلق ذاتياً في العمل الروائي ولا حاجة لها بالكاتب سوى أن يحبّرها، أن يجعلها في نظام اللغة الذي تختاره هي بذاتها.

هل أدخلت تجديداً على فن الرواية؟ مدرسة جديدة أو لوناً آخر غير الذي قُدم من قبل؟

أظنني عملت كثيراً على الراوي، واستفدت من طرائق الروي في مجتمعاتي الصغيرة بالسودان؛ ففي رواية الجنقو انتحلت آلية الحوار في مشارب الخمر البلدية، وتجمعات العمال، حيث يظن كل شخص في مشرب الخمر البلدي، أنه مركز الكون بتمركزه في الحكايات، وأنه الأكثر أهمية، بالتالي الجميع هم الأكثر أهمية، الجميع هم أوتاد الكون والحكايات، فعلي أن أنتج رواية كل شخصياتها أبطال ولا يمكن إهمال تأثيرهم الفني على بنية النص وكان هذا تحدِّيًا فنيًّا معقداً، فاللغة في السودان ليست ذات نمط واحد، فهي تعبر عن شخصية المتحدث وتشير إلى المكان الذي جاء منه، وتُحدِّد أيضاً موقعه الاجتماعي، بل أهو ذكر أم أنثى، أم مثلي عابر للنوع. فكل بطل من الأبطال يعني منظومة لغة كاملة.

بما أنه تم توقيفك عن العمل بالسودان هل تصنف نفسك كاتباً ضد السلطة؟ وهل أعطاك ذلك شهرة سريعة؟

كثيرون هم ضد السلطة، وكثيرون من صادرت السلطة كتبهم، وكثيرون من أجبروا على المنفى، وكثيرون من تم التضييق عليهم، فأنا لست استثناءً،

أنا واحد من عشرات الكُتاب السودانيين المغضوب عليهم من الخرطوم، فلا علاقة لذلك بأية شهرة، وإلا لأصبح الآن جميعهم مشهورون، فلنقل إن لشهرتي علاقة بالحظ وحسن الطالع ودعاء الأمهات وبركات الجد برمرجيل الأعظم. كما أنها ليست شهرة سريعة فأنا أكتب منذ ربع قرن من الزمان.

- في روايتك» الرجل الخراب» تأثر بشكل مباشر مع فكرة العيش في الغرب، ما تأثير المكان عليك؟

المكان هو الإطار المشكل للإنسان، ويمكن مع بعض التطرف أن نقول إن المكان هو الوجود كله، وقريباً من الفيلسوف سورن كيرجارد (المكان في أين)، وهذا الأين أينٌ محدود ومُعيَّن بدقة. حرماني من مكاني الذي يخصني هو نفي إلى عدم لا يخصني، هو انشطاري إلى واحد مبهم، هو إرباكي وخرابي الذاتي.

فماذا يكتب المنفي في غير حبر المنفى، ماذا رسم غير خيبته وحنينه الأبدي الذي قد لا يتحقق إلا في مكان يخصه ترك فيه وجوده الحق في ركنٍ قصي من حجرة نومه، أعني قد يكون البعض عابراً للأمكنة، ويمكنه فعل ذلك كاستثناء أو تغييب في محاولة لعدم المواجهة مع الذات. ولكني أواجه نفسي بالكارثة، أغوص في بئر الآلام إلى عمقها غير المحدود، ولتجرحني سكينة الهاوية، ولكنني لا أتجاهل وردة الجُرح التي تنشأ هنا بين العظم والمُدية.

أعمالك بها توظيف للبيئة وظهر ذلك في روايتك «الجنقو مسامير الأرض» ما تعليقك؟ وكيف أثرت البيئة السودانية

على تكوينك الأدبي؟

الجنقو كانوا دائماً حولي، بعضهم أفراد أسرتي، نشأنا في البيئة ذاتها، ولكن ما يجب أن يُقال، فالرواية ليست محاكاة لحياة الجنقو ولا تقليداً لهم ولا تصويراً لمفاعيلهم اليومية، الجنقو هم موضوعها، أما الرواية فهي موضوع آلياتها الفنية التي تخصها، والخطأ الذي وقع فيه كثير من القراء والنقاد المتسرعين أن اعتبروا أن رواية الجنقو عليها أن تمثل حياة الجنقو، فهذا ليس عمل الرواية ولا تُعنى به، بل لا يخصها في الأصل، كل شخصية في الرواية تخص وتنتمي لما تحتمه عليها البنية الفنية وبما قامت هي ذاتها بأن تكونه، أي كينونتها التي هي سبب نشأتها.

الرواية التاريخية أو التوثيق التاريخي كيف يمكن للأدب أن يخدم التاريخ من التزوير في هذه الظروف السياسية المتغيرة؟

لا أظن أن الرواية معنية بذلك أبعد من التعامل الجمالي مع التاريخ، ليس التوثيقي البحت، فالرواية قد تضيف إلى التاريخ أبعاداً خيالية لابد منها لأن الخيال من أدواتها.

ما الإشكاليات التي من الممكن أن تقابل من يتصدى لكتابة رواية تاريخية من وجهة نظرك؟

إنه يخدع نفسه أولاً إذا كان يظن أنه سيتناول التاريخ بدقة، وسيكون صادقاً إذا كان يستلهم أحداثاً ويعبث فيها بخياله.

هل ترى أن الحريات العربية مازالت تعاني من القيود؟

أصلا، لا توجد حريات في ما يسمى بالوطن العربي، فالإنسان المقهور

والمهدور طوال تاريخ هذه الشعوب مازال يرزح تحت قيود بني جلدته من الحكام الظالمين من ناحية، وتحت قيود وعيه الزائف من ناحية أخرى، إلا القلة القليلة، التي استطاعت أن تنال حريتها العقلية وهي مهددة باستمرار بالنفي أو السجن أو القتل.

كيف ترى الأحداث العربية الحالية بعد تلك الثورات وما يحدث بالعالم العربي من أحداث ومتغيرات؟

لا يحدث شيء على الإطلاق: المطلوب أن يتحرر الإنسان العربي أولاً، أن يتحرر عقلياً، العلة ليست خارجه، العلة في هذا الشخص، الذي ليست لديه الشجاعة في أن ينشأ السؤال الذي ينقذ وجوده.

فازت رواية «الجنقو: مسامير الأرض»، بجائزة الطيب صالح باعترافٍ وتكريمٍ له قوته ودلالته، ليتم منعها من التداول لاحقاً، كيف تفسر ذلك؟

السلطة في السودان قمعية، وادعاؤها بأنها ذات رسالة دينية جعلها أكثر شراسة، وتخبئ تحت تلك العمامة كل الشرور والمفسدات والدمار، حيث أصبح واضحاً للعيان أن مشروع الأخوان المسلمين في السودان ليس شيئاً آخر غير الثراء الفاحش للحاكمين والبؤس والفقر المدقع والقتل والإبادة الجماعية للمحكومين. فمصادرة الأدب والتضييق على الحريات ليسا سوى مظهر من مظاهر الدولة البوليسية الشمولية الفاسدة الفاشلة.

كيف ترى تأثير لعبة الدين والسياسة في المناخ السياسي والاجتماعي في الكثير من الدول العربية والتي استفادت

منها جماعات الإسلام السياسي؟

لقد حاول المرحوم فرج فوده إيجاد إجابة لذلك، وأطلق عليه الوعي الزائف، ولكن المشكلة الفعلية تتمحور في ادعاء البعض معرفة الحقيقة تلك الحقيقة التي لا وجود لها في الواقع فهي متحولة ونسبية ومخادعة وليست هنالك، بل الأسوأ الادعاء بأنهم الوحيدون الذين يعرفونها، بالتالي على الآخرين أن يصدقوا ذلك، وعليهم أيضاً أن يؤمنوا بها، وأن يقوموا بفعل يجعل إيمانهم عملاً ملوساً وواضحاً، يصل ذلك العمل إلى درجة حرمان الآخرين من حق الحياة. إذا لم تتحرر تلك الشعوب عقلياً لا أمل لها في التحرر جسدياً، وذلك بالمعرفة والسعي نحو المعرفة: الوعي.

البعض يرى أن شهرة الطيب صالح تضعكم في مأزق بسبب الشهرة الآعلامية الطاغية له، وبالفعل هذا التعامل الآعلامي مع الطيب صالح ظلم الكثير من الكتاب الجدد. كيف يمكن التغلب على تلك الآشكالية؟ وهل تواجهك حالياً؟

الطيب صالح بريء من هذه التهمة، الذين لم يستطيعوا أن يؤكدوا وجودهم الأدبي في المكان هم الذين يحملونه مسؤولية فشلهم. وهذا لا يمنعنا من أن نقول أن الإعلام العربي كسول، وأن الكاتب السوداني لا يسوق نفسه جيداً في ظل انعدام المؤسسات الحكومية الوطنية التي عليها أن تقوم بذلك.

البعض يرى أن الأدب السوداني يعتمد على الأساطير، فهل الآرث الثقافي من الأساطير كان حاضراً ومازال لدى الكاتب

السوداني حالياً؟

«الأدب السوداني» لا يستطيع أيّاً كان أن يجد سمات مشتركة لما يكتب في السودان من أدب، لذا أنا أفضّل مصطلح الأدب في السودان، نسبة للتنوع الشاسع في كل ضروبه؛ فمن يقرأ عالم عباس لا يجد أي تقاطعات بيّنة بينه ومعاصره الشاعر محجوب كبلو، ومن يقرأ بابكر الوسيلة، ومأمون التلب لا يظن أن الشاعرين من ذات الجيل ويعيشان في أم درمان وينتميان لجماعة واحدة، كذلك حال الرواية، ما بين أبكر آدم إسماعيل والحسن البكري مفازة شاسعة من الاختلاف. وفي كل ضروب الفنون الأخرى.

ولم تنشأ مدرسة أدبية ذات مانفستو يربط فنيّاً بين أعضائها، قد ينضوون تحت اسم واحد مثلاً «أولوس»، أو «الغابة والصحراء» إلخ، ولكن يظل لكل شاعر عوالمه وطرائق كتابته وأسلوبه.

النقد سلاح ذو حدين، ينظر إليه المبدع أحياناً بعين الريبة، وأحياناً لا يتجاوز حد المواربة والمجاملة والانطباع العابر، فما قيمة النقد بالنسبة لك؟ وهل يعتبر محفزاً على الإبداع والعطاء أم مثبطاً للهمة ومساعداً في التقاعس والخمول؟

النقد مهم جداً، إذا نتج عن معرفة نقدية صارمة، واستخدم فيها الناقد أدوات النقد الفني، وأيضاً مهم نقد القارئ العادي جداً الذي لا يمتلك أيّاً من الأدوات الفنية، ولكن البعض يستخدم النقد كأداة لتصفية الخصومات الاجتماعية ليس إلا وهذا منتشر في السودان والمنطقة العربية، والأسوأ منه النقد الذي يقوم على المحاباة والصداقة.

ما أهمية أن يكون لدى الكاتب مشروع يعمل على تحقيقه؟

الكاتب بلا مشروع كما الذي يحرث في البحر.

كيف تجد البعد الإنساني في الرواية السودانية. وتطور الرواية السودانية؟

الرواية في السودان لها جذور ضاربة في القدم، وأعتبر أن الأب الفعلي للرواية والسرد في السودان هو ود ضيف الله مؤلف الطبقات المعروفة بـ«طبقات ود ضيف الله، فالنص الذي يفترض أن يكون دينياً مؤرخاً للأولياء والصالحين في السودان، صار سردية عظيمة تنهض على السحرية الواقعية، وهو أمتع ما يمكن قرائته؛ فالسحرية مكون أساسي من مكونات الشخصية السودانية قديماً وحديثاً، وانتقلت إلى إبداع الكثيرين من الكتاب في السودان.

الرواية في السودان متنوعة في موضوعاتها وطرائق كتابتها، ويكاد كل كاتب أصيل مدرسة تقوم بذاتها، ونظرة سريعة لهذه الأسماء يمكنها تأكيد ما أدعي: ملكة الدار، عيسى الحلو، الطيب صالح، إبراهيم إسحق، عماد البليك، هشام آدم، نميرى مجاور، سارة الجاك، ليلى صلاح، كلتوم فضل الله، أسماء عثمان الشيخ، بثينة خضر مكي، منصور الصويم، محمد الطيب، أميمة عبد الله، محمد خير عبد الله، محمد مسوكر، أمير تاج السر، حامد الناظر، مبارك الصادق، أحمد الملك، أبكر آدم إسماعيل، رانيا مأمون، جمال محجوب، الزين بانقا، عصام قيسان، محمد الصادق الحاج، ليلى أبو العلا، تعبان لولي ينق، منجد باخوس، أحمد المصطفى الحاج، وحمور زيادة،

يس حبيب نورة، حافظ حسين، فتحي عبد العزيز، آن الصافي وغيرهم وغيرهن.

حصلت على العديد من الجوائز ما رأيك بالجوائز الأدبية؟ وهل تشكل دليلاً على إبداعية المنتج الأدبي؟

الجوائز لا تعني شيئاً غير وجهتها التجارية البحتة؛ إنها تعني الناشرين أكثر مما تعني المبدع. وكلما استلم جائزة أحسَّ بالخجل والغثيان والمشاركة في المؤامرة، أن تنال جائزة لا يعني ذلك أنك الأفضل فللحكام أمزجتهم ولمنظمي الجائزة سياساتهم ومشروعهم وأهدافهم. نعم قد تكون نبيلة وخيرة وقد تكون تجارية وقد تكون دعائية تسويقية.

أخيراً، أودّ أن أسألك، هل ثمة مشروع روائي جديد تشتغل عليه حالياً؟

لا أظن ذلك قريباً، مشروعي الآن هو القراءة المكثفة في مجالي الفلسفة والنقد الأدبي.